الكتاب : الصراع

باكستان على الطريق الجوي لامريكا

تأليف : طارق علي

ترجمة: ابتسام عبد الله

في مقدمة كتابه عن باكستان ، يستعير طارق علي سؤالاً طرحه صديق لي عن امكانية واهمية تأليف كتاب عن باكستان في حين ان حجر النرد ما زال في الهواء، جواب طارق كان: انه لم يكن في يوم من الايام قادراً على كتابة أي شيء عن باكستان ان لزم عليه انتظار سقوط النرد، وطارق علي سجل متميز للتنبؤ بما ستؤول اليه الامور، ففي كتابه «باكستان» عام ١٩٦٩دور عسكري ام قوة الشعب، تحدث عن الانقسام الحاد في البلاد، وقد تحول ذلك الى حقيقة بعد عامين، في الثمانينيات ، كتابه هل تقدر باكستان على البقاء؟ اثار غضباً بين اوساط المؤسسة الحاكمة في البلاد، ولكن بعد عقدين من الزمن ، اصبح الامر حديث جميع الصحف وقنوات التلفزيون العالمية ان باكستان اصبحت اخطر مكان في الارض وان نهاية العالم تخطط هناك، الصراع هناك غير مرتبط بمسألة حجر النرد بل لماذا بقيت أحجار النرد معلقة في الهواء لأكثر من ٦٠ عاماً ومن الذي قذفها؟

عناوين الكتاب الجديد لعلي هو «الصراع» باكستان على الطريق الجوي الامريكي، مناسب جداً وشاعري ايضاً خاصة ان الطائرات الامريكية . من دون طيار. بدأت في قصف مناطق القبائل الباكستانية والصفوة الحاكمة حاولت اقناع الشعب بان ذلك في مصلحته ، مع انه تحول الى كارثة حقاً.

ولكن هذا الصراع ليس بالامر المألوف او جمع عناوين صحف قديمة مع اضافة شيء من الاثارة اليها من الاقوال التي لاتعني شيئاً نقلاً عن مصادر غير مصرح بذكرها، التي تتحدث عن نظريات الجهاديين للاستيلاء على اجهزة نووية باكستانية ، او ان الجهاديين يسيطرون على باكستان ومن ثم ان باكستان تدمر الحضارة الغربية ، كما نعرف ذلك.

لقد استفاد المؤلف من امر بسيط: انه يعرف الموضوع الذي يكتب فيه، وهو يقلب الكثير من الفرضيات الغافلة عن الاسم ذي المصادر الاستخبارية على رأسها بوساطة تقديم ما يفندها ،ففي الفصل الاول يقدم تقريراً مفصلاً عن انهيار جامع لال . بعد حصار نقل بالتلفزيون دام اسبوعاً ، في قلب العاصمة الباكستانية والذي ادى الى تجمع طالبان في البلاد ونشر موجة من هجمات انتحارية ومنها تفجير فندق ماريوت إسلام آباد.

وبالنسبة لعلي، فان حصول الجهاديين على الاسلحة النووية الباكستانية يبدو امراً غير معقول بعد الان. كما انه يكشف ان (تبليغي جماعة)، اكبر مؤتمر غير سياسي للمسلمين في باكستان والتي يعتبرها الكثير من المفكرين الغربيين الجماعة الاكثر ميلاً الى السلام بين الاسلاميين. ليست غير مؤذية كما تبدو ، انها مؤلفة من نحو مليون شخص وهي تشكل بذلك أرضية جيدة لمثل تلك الاعمال مستقبلاً.

إن طارق علي واثق تماماً من الاسباب التي تدفعه الى الاستمرار بالكتابة عن باكستان شيء مني بقى في الخلف ، في التراب وفي الاشجار والناس).. وعلى الرغم من أن تحليلاته حادة مثل حد الموس ومنطقة رزين باستمرار تعوزه الحماسة ، فان عواطفه تنساب عندما يتحدث عن تأريخ الشعب الباكستاني في الكفاح من اجل تحديد المصير بأيديهم فمن الحركة الطلابية التي ارغمت الحاكم العسكري ايوب خان على ترك السلطة في اواخر الستينيات الى حركة المحامين التي ادت الى اسقاط حكم مشرف ، فان الصراع يقدم تاريخاً مفصلاً متوهجاً، كما ان طارق علي يستعين في سرده الكثير من الاقوال المنسوبة للكتاب لم ينتظر قط سقوط حجر النرد ليتكلموا بعد ذلك ويعبروا عما في اذهانهم. وبالنسبة للمؤلف ، فان التهديد الحقيقي لباكستان وللعالم ايضاً، ينبثق من التفاوت الاقتصادي والجريمة الخطة التي يشترك فيها العسكريون الفاسدون والصفوة من المدنيين مع نظرائهم من الامريكيين والتي يعود تأريخها الى مؤسس البلاد محمد علي جناح، الذي حاول بيع منزله الشخصي للسفير الامريكي وقد اعتذر الاخير بأدب عن ذلك ثم قدم اربع مراوح سقفية لجناح جبراً لخاطره.

وكتاب الصراع يبرهن على اهمية عدم الاعتماد على مصادر اقوال لاتنسب الى شخص معلوم، خاصة في وزارة الدفاع في اسلام آباد وواشنطن وعلى سبيل المثال: «كتب مصدر مسؤول في ...والى آخره».. ان معظم المعلومات تأتي مسجلة عبر لقاءات مباشرة» او وثائق مصنفة او الصحف ، طارق علي يستخدم اللقاءات التي اجراها، مع الشخصيات التاريخية . ذو الفقار علي بوتو، إنديرا غاندي، بنظير بوتو .وهي تضيف الى نص الكتاب عنصراً من الحميمية.

عن الغارديان

الكتاب : لاتنم

لا تنم ، فثمة أفاعٍ .. الحياة واللغة في الأحراش الأمازونية

تاليف :دانييل إيفيريت

ترجمة: هاجر العاني

طوال السنوات الثلاثين المنصرمة أمضى [دانييل إيفيريت] فترات طويلة في واحد من ابعد الاماكن على الارض يلاحق شيئاً ما يزال ابعد الا وهو أصول اللغة البشرية ، ففي عام ١٩٧٧ توجه هو وزوجته [كارين] وأطفالهما الثلاثة الى الاقامة مع قبيلة مستقطبة للباحثين اسمها [بيراها] والتي تشغل بضع قرى متناثرة في الاحراش على ضفاف نهر الـ[مايسي] وهو رافد من روافد نهر الامازون ، وهو ليس بمكان قد يختاره الكثيرون وطن لهم ، وفي النهر تتراوح الاخطار من أفعى أناكودا عملاقة يبلغ طولها (٣٠) قدماً الى سمكة مجهرية تحرص على الدخول الى ثقوبك الجسدية . اما على اليابسة فتوجد العناكب الذئبية والعقارب وأسراب البعوض التي تعتم الاثير وتلسعك من خلال ثيابك ، وقد توجّه [إيفيريت] وزوجته الى هناك بصفتهما مبشّرين طامحين الى ترجمة الانجيل الى لغة [بيراها] ، وقد حاول آخرون القيام بذلك بين الفينة والاخرى مدة (٢٠٠) عام ولكنهم جميعاً كانوا قد كفّوا عن ذلك حيث وجدوا ان اهل [بيراها] حرونين (عنيدين) وانه يصعب التعامل مع لغتهم ، وحتى الآن لا تبدو كلغة – بل بالاحرى لقد قيل إنها بمثابة الثرثرة اللحنية لطيور مغرّدة غريبة جداً .

ومع ذلك كان [إيفيريت] عاقد العزم ، فكونه إبن راعي بقر سكير من تكساس كان قد عزف الغيتار في فرق موسيقى الروك الغنائية وكان يتعاطى المخدرات الى ان – وفي المدرسة الثانوية – التقى بـ [كارين] التي كان والداها مبشّراً وأصبح مسيحياً ولد من جديد ، وببرغم ان [كارين] وابنتهما الكبرى كادتا ان تتوفيا بسبب الملاريا في الاشهر القليلة الاولى الا انه – وكذلك هم – تحمّلوا المشقات حتى النهاية ولم يصبح اول متحدث بلغة [بيراها] وهو ليس من [بيراها] وحسب بل اصبح كذلك أستاذاً في علم اللغة تقوم اكتشافاته بوضع الافتراضات الحديثة الاساسية حول ماهية اللغة (تضعها) موضع الشك .

وبعيداً عن ايجاد ان اهل [بيراها] حرونين فقد أحبهم [إيفيريت] من البداية ربما بسبب شبابه المستهتر ، وكما يروي هو فإنهم صبورون ولطفاء ومسالمون وقنوعون وهم يعنّون بالمسنين والمعوقين و هم ضَحوكون ، وليس لديهم زعماء ولا شخصيات تتمتع بالسلطة و هم مسترخون بشكل رائع ، وليس بينهم ذكر للطقوس الزاخرة بالالوان ولا التاريخ الشفهي الثر المفترض وجوده لدى الشعوب البدائية ، وهم لا يطلون أنفسهم بالالوان ولا يرتدون الريش ولا لديهم مراسيم ، ويتم دفن الموتى كيفما اتفق ولا يوجد شيء شبيه بالزواج ، اذ يعيش الازواج معاً وعندما يسأم أحدهما من ذلك فإنه يذهب الى الاقامة مع آخر ، ولا توجد أساطير عن كيفية بدء الكون ولا توجد روايات خيالية ولا فنّ ما عدا قلادات مصنوعة من البذور والاسنان وعراوي سدادات علب الشراب المعدنية والتي ترتديها النسوة لصدّ أذى الارواح الشريرة ، وهم يعيشون لاجل الحاضر غير آبهين بالماضي وغير مبالين بالمستقبل ، وهم لا يحفظون الغذاء قط وببرغم انهم يصنعون أدوات بدائية وينسجون سلالاً من سعف النخيل يرمونها حالما تصبح عتيقة ويصنعون اخرى جديدة في المرة التالية ، وهم يتمتعون باللياقة وانخفاض الوزن كما انهم يتمتعون – وكما صورهم [إيفيريت] في صوره الفوتوغرافية – بوجوه جميلة وعريضة وبريئة كأشخاص خارجين مباشرةً من جنة عدن.

وحقاً يمكن ان يبدو اهل [بيراها] قساة الافئدة ، اذ تُترَك النسوة ليلدن بمفردهن وعندما لا تسير الامور على ما يرام فإنهن لا يتلقين المعونة ، وقد سمع [إيفيريت] عن شابة كانت تصرخ طلباً للنجدة لساعات الى ان توفيت هي وجنينها فيما كان اهل [بيراها] جالسين بقربها دون فعالية ، وعندما تبنى هو و[كارين] رضيعاً يتيماً كانوا يغذونه في كل ساعة من خلال انبوب بلاستيكي انتظر اهل [بيراها] الى ان غادرا المكان وقتلوه بالسم ، وقد عزا [إيفيريت] الحادثتين الى نوع من الواقعية الدارونية التي انتهى الى النظر اليها على انها امر صحي ، واستنتج ان اهل [بيراها] يؤمنون بأنه يجب ان تكون سليماً جسدياً لتبقى حياً ولا يرون اية وجهة نظر في إطالة وجود غير السليمين ، الا انه ربما ان حادثة الرضيع كشفت كذلك عن الاستياء من تدخله انسجاماً مع عداء اهل [بيراها] الطبيعي للدخلاء ، وذات مرة عندما ثمل عدد منهم بسبب الكحول الذي كان يمدهم بها تاجر يأتيهم عبر النهر سمعهم [إيفيريت] بالمصادفة يدبّرون لقتله ، فدخل الى كوخهم وصادر اسلحتهم وعلى ما يبدو انهم كانوا أثمل او اكثر ترويعاً من ان يقاوموا ، وفي اليوم التالي اعتذر لهم .

ولا علاقة للغة [بيراها] بأية لغة معروفة وهي في آن معاً بسيطة ومعقدة بشكل لا يمكن ادراكه ، وفيها واحدة من أصغر مجموعات اصوات الكلام في العالم وتتألف من ثلاثة اصوات علة وثمانية اصوات صحيحة للرجال (وثلاثة اصوات علة وسبعة اصوات صحيحة للنساء) ، وليس فيها درجات مقارنة وليس للاسماء فيها اشكال جمع ومفرد مختلفة . من ناحية اخرى كل فعل يمكن ان يكون له الى حد (١٦) لاحقة تغيّر معناه وبالنتيجة يستنبط [إيفيريت] بأنه يوجد (٥٣٦ ٦٥) شكلاً لكل فعل بلغة [بيراها] ، وليس لهذه اللغة تعابير ثابتة للالوان ولا ارقام ولا كلمات مقابل «كل» او «جميع» ، وجملها عبارة عن تأكيدات بسيطة تضم فعلاً واحداً وليس لديهم على الإطلاق جملة صلة الموصول مُدمَجة فيها ، وطبقاً لنظريات (نعوم تشومسكي) – القوة المهيمنة في علم اللغة الحديث – تكون جمل صلة الموصول المُدمَجة سمة أساسية لكل اللغات الانسانية مميِّزةً اياها عن اصوات الضجيج الحيوانية وهذا احد الاسباب وراء تسبب مفاجآت [إيفيريت] في مثل هذه الضجة .

ويمضي اختلافه في الرأي مع [تشومسكي] الى مديات ابعد ، فهو لا يؤمن بأن البشر لديهم « قواعد لغوية كونية» مرتبطة بأسلاك محكمة داخل أدمغتهم ، بل هو يجادل بأن الامر على العكس تماماً من ذلك فإن القواعد اللغوية وكل السمات الاخرى للغة ما تتطور ضمن ثقافة ما وتعكس فكرها ، وبرأيه ان «بداهة مبدأ التجربة (ب م ت)» تؤكد حياة [بيراها] ولغتهم ، حيث ليس لديهم اهتمام بالماضي ولغتهم ليس فيها الزمن التام ، وليس لديهم كلمات للارقام والالوان لانها اشياء عامة والتعميم ينتهك الـ (ب م ت) ، وبالنسبة لـ [بيراها] يكون الشيء هو لونه الخصوصي وليس «احمر» ولا «اخضر» ، وليس هناك شيء مشترك بين خمسة رجال وخمس حبات مكسرات برازيلية برغم ان عقليتنا التعميمية تعتقد ان هناك ما هو مشترك بينها ، وأدار [إيفيريت] دروس حساب وقراءة وكتابة حضرها اهل [بيراها] بلهفة ولكن لم يتعلم اي منهم العدّ الى رقم (١٠) ولا تعلم ان العلامات العشوائية التي كانوا يضعونها على الورق مختلفة عن الكلمات التي كان [إيفيريت] يدونها لهم لينسخوها.

ومع ذلك فإن ما يستطيعون فعله يكون اكثر ادهاشاً بكثير مما لا يستطيعونه ، فللغتهم عدد كبير من النبرات ونبرات التشديد واطوال المقاطع وبامكان متحدثيها الاستغناء عن اصوات العلة والاصوات الصحيحة معاً وايصال معناها بالصفير او الغناء او الهمهمة ، والكلام بالهمهمة تستخدمه الامهات على وجه الخصوص في حديثهن الى صغار الاطفال ، وربما كان الاستماع الى ذلك أشبه بالاستماع الى البدايات الاولى للغة عندما كانت تنبثق بالكاد من الضجيج الايقاعي الذي يحدثه أسلافنا البشريون .

ولم يهدِ [إيفيريت] اهل [بيراها] الى المسيحية ، اذ تملي الـ (ب م ت) ان يؤمنوا بما يرونه فقط او يسمعونه من شاهد عيان موثوق وحالما أدركوا ان [إيفيريت] لم يكن قد رأى المسيح فقدوا اهتمامهم بالامر ، ومع ذلك وجد [إيفيريت] ان وجهة نظرهم مقنعة جداً بحيث انه تخلى عن دينه ، وبالنسبة لدخَيل يبدو هذا الامر غريباً خصوصاً وان قراره كان يعني نهاية اقترانه بـ[كارين] وتفريق عائلته ، لأمر واحد وبرغم ان اهل [بيراها] ليس لديهم كلمة تدل على الله الا انهم يؤمنون بالارواح ويرونها كثيراً لذا فهم ليسوا نموذجاً مناسباً للالحاد العقلاني الذي اعتنقه [إيفيريت] ، واكثر من ذلك فهو يشدد على الاهمية الحيوية للاهتمام بالثقافات واللغات الاخرى وخاصةً تلك المعرضة لخطر (الانقراض) مثل الـ[بيراها] والذي بقي منهم بالكاد (٣٠٠) شخص على قيد الحياة ، ومع ذلك فان احتقارهم الثقافات الاخرى هو سمة بارزة لـ [بيراها] حيث يسمون انفسهم بـ « الرؤوس القويمة « ومتحدثي اللغات الاخرى بـ «الرؤوس المعوجة « ، ومن المستحيل تخيلهم يولون اهتماماً لعلم اللغة المقارَن واذا كانوا مخطئين في ذلك فليس من الواضح سبب اعتقاد [إيفيريت] انهم محقون في امر الدين، ومع ذلك لا تنقص هذه المماحكات من قوة هذا الكتاب الرائع ، فهو مكتوب ببداهة يحسده عليها حتى اهل [بيراها] كما ان توحيده المغامرة البدنية والفكرية لا يقاوَم.

عن الصانداي تايمز

الكتاب:الامبراطور المغولي الاخير

حقائق اندثار الإمبراطورية المغولية

تأليف: ويليام داليرمبل

ترجمة : إيمان قاسم ذيبان

عالمٌ كبير هزته نسمةٌ إنكليزية لتصنع من مدنه أشلاء وبقايا و من إمبراطوره العظيم مجرد أسير منفي. فمن يا ترى رفع الستار عن هذا الاحتضار المدمي؟

في البدايةً، يعود الفضل للقوقازي الذي أتحفنا بتفاصيل هذه المرحلة شبه المفقودة من ذاكرة التاريخ. فمنذ مئة وخمسون عاماً خلت الإمبراطورية المغولية في أجواء من اللامبالاة وعدم الاكتراث على الرغم من كونها أسمى الإمبراطوريات في تاريخ البشرية. حيث يلقب كل من يترأسها بمجموعة من الألقاب الشاعرية والحماسية : كخليفة الأوقات العصيبة، وخير خلف (لجا مشد) الحاكم المشهور المحاط بالعناية الإلهية، وظل الخالق على الأرض، ومنقذ الدين، حجة الإسلام، إمبراطور الأباطرة، وملك الملوك، .... وغيرها.

بقي الحال على ما هو عليه حتى أعتلى الإمبراطور بدر خان زافار الثاني عرش المسلمين خلفاً لجنكيز خان وتيمورلنك في عام ١٨٥٧.

كان الأول ضعيفاً وكبيراً في السن لكنه يجمع صفات الأديب كلها فقد كان خطاطاً ومتصوفاً ومعلماً لاهوتياً وشاعراً ولم يحمل روح المحارب ابدا. وما انفكت العاصمة دلهي تحمل الكثير من آثار ماضيه المجيد : كالحمامات والحدائق والينابيع والقصور المتعددة الأعمدة والقبور المرمرية والمزارات المشيدة وفق هندسة معمارية دقيقة للغاية. كما فضل الملاحظون المحليون الاستعارة السهلة من فن الخطاب أو علم البيان الإسلامي كي يبينوا هيئة السكان آنذاك : فأقوام النساء مشيقات يشبهن أشجار السرو. بينما كان الرجال على درجة عالية من الثقافة والحكمة والإبداع لا سيما في مجال الطب والعلوم لدرجة أن بعضهم لقب ببلاتون الشرق أو الحكيم أو سومون أو غاليلو.

حقاً كان (حلماً شرقياً) لأن حكم زافار اتسم بصفات أقرب للخيال منها إلى الحقيقة وسط تنعم الجميع بالعدل والمساواة. بيد أن الأمور لم تجرِ في مسارها الصحيح. فبعد مرور عدة عقود، قلل الإنجليز المتواجدون في المنطقة من أهمية الإمبراطور واصفين حكمه بالتفاهة والمزاجية. حدث هذا على الرغم من استمرار وجود الهالة المحيطة به واستحالة التصرف معه مثل ملوك آسيا وإفريقيا. فهم مدينون له بالسلام المحلي بين الهندوس(مسلمون و هندوس) وبين الانجليز يون(جنود و مدنيون).

لذا تغير كل شيء في منتصف القرن التاسع عشر. حيث تمرد الجنود الهنود المعروفون باسم (سباي) لامتعاضهم من تزايد غطرسة رعايا ملكهم الجديد ومن تخصيص الميزانيات الضخمة من أجل مشاريع التبشير (١). وبجلاء فيلق كامل من الجيش البنغالي، عاد المتمردون إلى دلهي وطلبوا من زافار الحاكم الشرعي والوحيد لهندوستان في نظرهم أن يكون زعيماً عليهم. فتردد الأخير طويلاً بسبب من كبر سنه البالغ الثامن والثمانين وأيضاً بسبب من حكمته التي لا تتناسب مع نشوب حرب طويلة الأمد كهذه.

ولا بُد من أن نشير الى أن أوضاع المدينة كانت شبه مستقرة وتدريجياً نجح المبشرين المسلمين في تحريض الكثيرين على قتال المسيحيين والبيض حتى الهندوس فهم أيضاً لم يسلموا من هذا النزاع. وأعطاهم زافار الضوء الأخضر للقيام بمثل هذه الأعمال إلى أن عم الشغب أرجاء البلاد كافة وأقترب من العاصمة دلهي. وحصل نفس الشيء في صفوف الجيش الإنكليزي أيضا. وفي منتصف عام ١٨٥٧، تواجه الجيشان (الإنجليزي والإسلامي الهندي) في معارك ضارية مليئة بالوحشية. وفيها قتل زافار الملك لير عند أطراف مدينة جانغ بينما تفشى مرض الكوليرا ليدمر معسكرات الطرفين وانحسر نفوذ جيش المتمردين حتى خسروا المعركة.

وفي ١٤ أيلول من نفس العام، انطفئت الشعلة الأخيرة للإمبراطورية المغولية واجتاح الإنكليز العاصمة دلهي وتمادوا في الثأر لضحاياهم فألقوا القبض على الإمبراطور زافار أمام أنظار الجميع وحكموا عليه بالنفي نظراً لكبر سنه إلى مدينة برماني حيث توفي هناك ودفن في الخفاء بشكل مؤثر ومحزن.

لم يكن سهلاً بالنسبة لصحافي الحرب المشهور (و.ج. روسيل) المحرر في صحيفة التايمز الذي تساءل قائلاً : «هل كان هذا العجوز المتواضع والحاكم هو الشخص نفسه الذي خطط لبناء أكبر إمبراطورية في الشرق؟ وهل هو الذي أوقد نيران أكبر تمرد شهده العالم؟»

وعلى غرار رائعته (في ظلال بيزنطيين)، وصف ويليام داليرمبل الأماكن والأشخاص بقدر وصفه للحقبة التاريخية التي عاشوا فيها. فتحت ريشته اجتمعت القوة والوجدانية بانسجام مدهش وخلاب لأن كاتبنا في الأساس مؤرخ وقاص. وبعد أربع سنوات من البحث في الأرشيف الهندي والإنجليزي وبعد سفرات عدة إلى العاصمة دلهي، أجاد كاتبنا في صياغة هذه الحكاية التي تقارب السبع مئة صفحة، تخللها شواهد حقيقية ومضاءة بآلاف الملاحظات التي تغزو أسفل الصفحة.

من أجل ذلك، غدا كتابه روايته عملاً مفعماً بالعاطفة ووصف الحياة المثالية، فعبر حدث تاريخي قليل الأهمية،أوضح لنا الكاتب القوقازي حجم الارتباط القوي بين الأصولية الإسلامية والإمبريالية الغربية.

عن الليموند